12me Année No. 570

Lundi - 5 - 6 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٧٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٥ يونية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٤٦١	دفاع عن البلاغة	أحمد حسن الزيات .. ...
٤٦٣	مكانة العرب بين الأمم ..	الدكتور عبد الوهاب عزام
٤٦٦	مصر الاسلامية	الدكتور محمد منـدور ..
٤٦٨	الفن والاصلاح	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٤٧٠	رسائل الملبقات الرصاق	الأستاذ دريني خشبة ...
٤٧٣	مستقبل القطن المصرى ...	الأستاذ زكريا بك حجاج
٤٧٥	الألفاز فى الأدب العربى .:.	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٤٧٧	نقـل الأديب . .. :.	الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى
٤٧٨	جمال وشوك [قصيدة]	الأستاذ محمود الخفيف .
٤٧٩	على هامش الشعر الجديد ...	الأستاذ الكبير (ا . ع)
٤٧٩	جائزة الزجلاوى	الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن
٤٧٩	« الشعر الجديد » لا « شعر الشباب » .:.	الأستاذ محمد محمود رضوان
٤٨٠	اللهجة المصرية وصلتها باللهجات العربية	الأستاذ أحمد مدينة . ...

١٩ ـ دفاع عن البلاغة

١١ — التلاؤم فى الأسـلوب

رأيت معى أن تقطيع المنثور من الكلام جملاً أو فقراً أو فواصل عمل بلاغى تقتضيه حالة النفس وحركة الذهن وطبيعة التنفس . وهذا التقطيع ـ وإن نشأ فى اللغة على مقتضى الطبع ـ له فلسفة وهندسة وموسيقى هن عناوين علم البلاغة ، وبراهين فن البليغ . فأما الفلسفة فقد أشرت إليها فى مقالى السابق إشارة توجّه أو تنبه . وأما الهندسة والموسيقى فملاكهما التلاؤم بين أجزاء الفقر وفواصلها . فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن ، وإن كانت متماثلة فهو السجع . مثال الأول : وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم ، ومثال الآخر : إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم . فبين المستبين والمستقيم تعادل ، وبين نعيم وجحيم تماثل . بَلْهَ التوازن بين آتيناهما وهديناهما ، والكتاب والصراط ، والأبرار والفجار

والتوازن ويسمى الازدواج مَوْسَقَةٌ فطرية فى نفوس العرب جعلوا بها النثر أشبه بالنظم فى جمال الرصف وحسن الإيقاع . فهو صفة ملازمة من صفات الأسلوب لا تكاد تنفك عنه فى جميع أغراضه ومختلف صوره . وهو فى ذلك يخالف السجع

فإن للسجع موضوعات ومواضع لا يطلب إلا لها ، ولا يحسن إلا فيها ؛ ولذلك يُقبل فى غرض دون غرض ، ويجمُل فى صورة دون صورة . قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير : « كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ، ولا يقصدونه بتة ، إلا ما أتت به الفصاحة فى أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ، وإن كانت كلماتهم متوازنة ، وألفاظهم متناسبة ، وفصولهم متقابلة . وتلك طريقة الإمام على ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هرون والجاحظ » . وقال أبو هلال فى الصناعتين : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً . ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج . ولو استغنى كلام عن الازدواج كان القرآن ؛ لأنه فى نظمه خارج عن كلام الخلق . وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه » . وقال فى موضع آخر : « واعلم أن الذى يلزمك فى تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط . ولا يلزمك فيها السجع . فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن فى سجعك استكراه وتنافر وتعقيد » .

فالازدواج على إطلاقه ، والسجع على تقييده ، يؤلفان الموسيقية فى الأسلوب البليغ منذ كان للعرب ذوق وللعربية أدب . فليست الحال فيهما هى الحال فى سائر الأنواع البديعية التى نشأت فى الحضارة ونمت بالترف وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف . فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات ، والمزاوجة بين الكلمات ، والمجانسة بين الفواصل ، إنما ينكرون جمال البلاغة وجميل البلغاء فى دهر العروبة كله . وإذا أقررناهم على أن ذوق العصر لا يسيغ ذلك البديع الذى أولع به كتاب العصر الخامس ومن خلف من بعدهم ، فذلك لأننا لا نقحم فى ذلك البديع تلك الأنواع التى تحسَّب فى عناصر الأسلوب وتنسب إلى خصائص اللغة ؛ كصحة المقابلة ، وحسن التقسيم ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، واتفاق الفقرة والفقرة فى الوزن ، واتحاد الفاصلة والفاصلة فى الروى

وأقطع الحجج على أن الازدواج والسجع من لوازم الأسلوب العربى أن القرآن وهو « كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » قد تجوَّز فى بعض الألفاظ والصيغ محافظة عليهما . قال شمس الدين بن الصائغ فى كتابه : إحكام الرَّاى فى أحكام الآى : « وتتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف وأربعين حكماً » نذكر نحن منها على سبيل المثال : تقديم ما هو مؤخر فى الزمان نحو : ولله الآخرة والأولى . وتقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو : ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . وتقديم الضمير على ما يفسره نحو : فأوجس فى نفسه خيفة موسى . وتذكير اسم الجنس مرة وتأنيثه أخرى نحو : أعجاز نخل منقعر ، وأعجاز نخل خاوية . والإفراد فى موضع التثنية نحو : فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، بدلاً من (فتشقيان) . وتغيير بنية الكلمة نحو : طور سينين ، بدلاً من طور سيناء . ووضع اسم المفعول موضع اسم الفاعل نحو : حجاباً مستوراً ، بدلاً من ساتراً ...

كذلك تجد فى كلام أفصح العرب وسيد البلغاء مثل ذلك . فقد كان صلى الله عليه وسلم يغير الكلمة لتلائم أختها فى مثل قوله : « أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة » وإنما أراد ملمة . أو فى قوله : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » ، وإنما أراد موزورات من الوزر . فلو كان الازدواج نافلة والسجع فضلة لما كان لهما هذه المنزلة من كتاب الله وحديث رسوله . ولقد زهقت صناعة الحريرى زهوق الباطل ، وذهبت بضاعة الحوى زهاب الزَّبد ، فلم يبق حياً قوياً على قشو المجمة وشيوع الجهالة غير هذين النوعين الأصيلين ، يجريان على الأقلام الموهوبة مجرى الطبع ، ويعملان بالنفوس الشاعرة عمل السُّلاف ، ويحفظان للأسلوب العربى روحه الذى عاش عليه وفنه الذى خلد به . والناس لا يكرهون السجع لأنه سجع ، ولا البديع لأنه بديع ، وإنما يكرهون التكلف والتمويه والبهرج وتنميق الألفاظ على المعنى التافه ، وترصيع الأسجاع فى الكلام الغث ، كما يكرهون الزخرف المنمنم على الجدار المنهار ، والحلة الموشاة على الجسد المسلول . ولكنك إذا تدبرت ما كتبناه فى حد البلاغة وتعريف الأسلوب ، ووعيت ما قلناه فى معنى الأصالة ومدلول الوجازة ، وكان لك الطبع الذى صقله الأدب ، وجلته الفطنة ، وأسعفته الملكة ، أمنت الكلمة التى لا تقع فى موضعها من الجملة ، والصناعة التى لا تقوم على أساس من الطبع والذوق ، والحلية التى لا تساعد الأسلوب على التأثير والإبانة . وإذن يكون ما تديج هو الجمال ، وما تنتج هو الفن .

(الكلام بقية) مصطفى صادق الرافعى